جوانب من بنية المدينة العربية الاسلامية ودواعي توثيقها

م.د. فواز عائد جاسم كركجة
مدير معهد إعداد المعلمين / نينوى

تاريخ تسليم البحث: ٢٠١١/٢/١٣ ؛ تاريخ قبول النشر: ٢٠١١/٤/٢٤

ملخص البحث:

تشكل المدينة العربية الإسلامية تراثاً تهتم بتركيبها الداخلي ووظائفها الأساسية الاقتصادية والعلاقات المكانية إذ تناولها الباحثون عبر تاريخها الطويل . وقد توسعت المدن على حسابها نتيجة لتطور المراكز الحضرية عبر الزمن كما طغت على المدن الإسلامية وأصبحت تعاني من الإهمال والاندراس ، لذلك يجب توثيق المواقع والمباني الإسلامية ، وهذا العمل يحتاج إلى فريق مشترك لتوثيق مدينة واحدة والى وقت وخبرة واختصاص لتكون نتائجه أمام أعين المعتنين بالتراث ، وان مشكلة البحث تعلقت بهذا الموضوع في عدم توثيق المدينة العربية الإسلامية ، ومن الضروري إعادة تأهيلها ولو بعض أجزائها المهمة ، فنلاحظ مسجد الرسول (صلى الله عليه وسلم) في المدينة المنورة والذي يعد أحد المساجد الثلاثة التي لا تشد الرحال إلا إليها ويضم هذا المسجد مصلى رسول الله ومنبره والروضة الشريفة ومن هذا المسجد كان منطلق الأحداث الحاسمة ، ومركز القرارات وملتقى أهل الرأي والشورى فكان له الأولوية في التوثيق ، وهناك أيضا مراكز مدن ومواقع إسلامية من الضروري توثيقها ومتابعة معالمها وإجراء المسوحات اللازمة من اجل استيعاب حقيقة مهمة هي توثيق المدينة العربية الإسلامية للأجيال اللاحقة خوفا من الاندراس .

Some Aspects of the Construction of Arab Islamic City and its Documentation

Abstract:

Arab-Islamic city represents a significant tradition in its internal construction and its basic economic function .For that reason , all scholars began to study its long history .

Because of the urban development , the cities enlarged on its account across ages , and the Islamic cities accordingly began to be neglected or declined . The subject thus is to document such cities in their own buildings and position. Of course , this requires a joint team . besides time , experience and suggestions for helping the specialists .

The problem of this study thus deals with the importance of the Arab-Islamic documentation . It is necessary to rebuild it even if for some of its parts . So , Mohamed's mosque in Al-madina Al-monawarah is a good example for it has a chapel of the prophet , minbar and the honorable place .

Indeed , this mosque was the real place for spreading widely Islam outside , for its effective events and for wise people to meet there . There are also other places which can be documented and studied as Islamic city centers , or repaired . This fact is too much important for being decumented for the benefit of the next generations test they should decline .

The third section talks about the role of Syriac and other people in translation and foreign sciences which were translated into Arabic.

The fourth section presents the famous translators who appeared in AL Sham who had a vital role in translating the Greek Sciences to the human civilization and specially the European.

المقدمة :

إنَ المدن العربية الإسلامية تتراجع أمام الانفجار السكاني وعلى حساب طابعها الموروث وتاريخها، وفي هذا البحث لا يمكن تحديد جميع المدن العربية الإسلامية المتراجعة أمام الانفجار السكاني والعمراني ، وهذا لا يتم إلا عن طريق فتح مناقشات ومؤتمرات وتوصيات مع تواجد الكوادر الهندسية والمخططين والمعماريين والاثاريين والجغرافيين والمؤرخين والمتدربين على الصيانة ليخرجوا من الوضع التي تعيشه هذه المدن ولتحقيق الهدف الأكبر من إقامة توثيق المواقع والمباني التاريخية للمدينة العربية الإسلامية ، وقد كان للمركز الاقليمي لصيانة الممتلكات الثقافية في الدول العربية الاسلامية الدور المميز في إصدار سلسلته الموسوعية والموسومة بـــ (الصيانة العلمية) وكذلك كان دور المنظمة العربية للتربية والعلوم (اليونسكو UNESCO) متمثلاً بالاهتمام بالممتلكات الثقافية والحفاظ عليها وإدامتها وهناك دراسات سابقة اهتمت بتوثيق الممتلكات الثقافية كدراسة (ابعاد الصيانة في المدينة العربية ومتطلباتها) (د.خالص الاشعب ١٩٨٦) وتوثيق الممتلكات الثقافية لبعض المفاهيم والأهداف الأساسية (د.احسان فتحي الجامعة المستنصرية كلية الهندسة ١٩٨٧) . وعن المفهوم الرمزي للاشكال في العمارة العربية الإسلامية (المهندسة إيثار جوزيف أسعد الجامعة التكنلوجية ، القسم المعماري) ، وبحث الدكتور عز الدين جعفر الصندوق الخبير في المؤسسات العامة للآثار والتراث عن كيفية توثيق المباني والدور التراثية . ولاتزال هذه المراكز تعمل على دراسة بنية المدن العربية الاسلامية وتتهيأ في إعداد دورات مستقبلية لبحث مواضيع صيانة الممتلكات الثقافية في المدينة العربية الإسلامية فجميع المؤتمرات والقرارات عبر السنوات السابقة واللاحقة هدفها واحد والأمل هو تحقيق الغاية لإبقاء الموروث وإدامته والاهتمام به . إنَ البحث في هذا الموضوع بشكل علمي مدروس ، والاستفادة من المصادر الضرورية يكمن في معرفة تطور المدن والأحياء التاريخية عبر الزمن ، فهي موروثنا من الأجيال السابقة ، وقد تطورت فيها حياة المجتمعات المتعاقبة إلى جيلنا الحاضر ، ومازالت محتفظة بمعظم قواها وأوضاعها ، لكونها ثروة قومية وسياحية ثمينة وأنها قطعة من حياة الوطن وتاريخه .

هدف البحث :

يهدف البحث إلى دراسة المدن العربية الإسلامية والتي تواجه مشاكل في نموها العمراني مما جعلها غير متجانسة وتعرض قسم منها إلى الإزالة والإهمال ، مثل الأزقة السوقية وبعض الوحدات البنائية مثل الحمامات (كحمام العطارين في الموصل والخانات التجارية) ، وهذا ما يؤثر على عمقها التاريخي ويمكن توظيف نتائجها لمعرفة الأجيال اللاحقة . إنَ لكل مدينة مراحل في نموها وتطورها وحتى إهمالها وإزالتها وهذا ما يؤثر بشكل واضح على معالمها وعمقها التاريخي ومكانتها الحضارية .

أهمية البحث :

تزداد أهمية البحث في معرفة تشخيص المشاكل التي تعاني منها المدينة العربية الإسلامية ، وتحديد المجالات التي يمكن الاستفادة من المعلومات التي يمكن التوصل إليها . فالمدينة في فكر الإنسان اليوم تمثل عصارة التطور والرقي والإبداع الحضاري والثقافي والفكري الذي توصل اليه عبر فترات زمنية مليئة بالجهد والمعاناة .

مشكلة البحث :

تتعلق مشكلة البحث في عدم توثيق جوانب مهمة في المدينة العربية الإسلامية بشكل متكامل مقابل عدم تأهيل الأجزاء الموروثة والحفاظ عليها ومعرفة هويتها والاهتمام بتركيب المدينة وأنظمة شوارعها وأجزائها التراثية .

منهج البحث :

اتبعت الدراسة المنهج التاريخي الوصفي في دراسة الصورة الجغرافية في متابعة التغييرات التي شهدتها المدينة عبر العصور الزمنية [١] .

تحديد منطقة الدراسة :

يمكن تحديد منطقة الدراسة من خلال التركيب البنيوي ومراحل تطور المدينة العربية الإسلامية وخططها بشكل عام إذ لا يمكن تحديد أية مدينة بدون فريق عمل من فنيين ،ومهندسين ، وجغرافيين ، ومؤرخين ; لكل مدينة مميزاتها المعمارية ، لذا أخذت التيارات الحديثة تدق ابواب مدننا التاريخية منذ عدة عقود وتؤثر في معالمها ولازال الغزو الحضري غير راسخ الاركان مع تمسك أهل المدن الاسلامية بتقاليد وعادات الأجداد الموروثة . لكن هناك تياراً أخذ يؤثر على النمط والطرازالمعماري في المدينة العربية الاسلامية ويغير بعض معالمها لذا يمكن وضع منطقة الدراسة وتحديدها في إطار واحد هو توثيق المدينة العربية الإسلامية وتأهيل الأجزاء الموروثة والحفاظ عليها .

المبحث الأول
المدينة:

تعريف المدينة : المدينة حسب الاستعمال اللغوي والديني تعرف (بالمكان) : أقام به فعل ممات ومنه المدينة [٢] والمدينة هي الحصن الذي يبنى في أسطحه الأرض (وتعني اسطحه معظم الشيء أو سطحه ، اي: أحسن مكان فيها لجهة الإشراف والإرتفاع [٣] .

ويرى ابن خلدون (١٣٢٢- ١٤٠٦) أما المدينة تقابل الحضارة مما أسماه الملك أي سيادة الدولة وقد اهتم الجغرافيون بدراسة البيئة الجغرافية للمدينة وما ينتج عنها من أنشطة وفعاليات كنقطة تركز للسكان والأرض معاً فتعنى بدراسة نشأتها وتطورها العمراني والحضري من خلال دراسة نشاطاتها ، وتركيبها الداخلي وعلاقاتها [٤] . وترجع كلمة مدينة إلى كلمة (دين) وهذه الكلمة جاء معناها من أصل (سامي) وعرفت عند الأشوريين بالدين أي (القانون) أما في الآرامية والعبرية يقصد بالديان أي (القاضي) ومصدرها في الآرامية (مدينتا) وتعني القضاء ، وتوافق هذه التفسيرات ما ورد في القرآن الكريم وما

أشارت إليه بعض المعاجم العربية فقد اتضح من التفسير القرآني أنَ كل من المواضع التي أطلقت على لفظ " المدينة " كان عليها حكام وملوك وفيها وجه لتحقيق الصيغة القضائية والدينية والإدارية والسياسية [٥].
ويوصفها الجغرافيون ، أن المدينة في عصورها المتلاحقة تحدث فيها مظاهر التغير والتحول سواء نحو التطور والإزدهار أو إنحدار أو تخلف أو إندراس [٦] .

وتمثل المدينة كائناً عضوياً عناصره الاجتماعية والاقتصادية و الزمانية والمكانية والعمرانية كافة وبإطاره الإقليمي له أفعاله وردود أفعاله بالكل أو الجزء بهذا الوقت أو ذاك ، لهذا العامل أو غيره . تغطي المدينة حيزاً مكانياً له موضعه وموقعه وبعده التاريخي الذي انعكست فيه وعليه انجازات معمارية شاخصة تعبر عن هوية المدينة وأنماطها وبنائها وخططها[٧] . ويعرفها جمال حمدان بأنَها حقيقة مادية مرئية في اللاندسكيب يمكن أن نحددها باحساساتنا الخارجية ونتعرف عليها بمظهر مبانيها وكتلتها وطبيعة شوارعها ومؤساساتها ومصانعها [٨] .

نشأة المدينة العربية الإسلامية

تبدأ نشأة المدينة العربية الإسلامية من " يثرب " بعد أن هاجر الرسول (عليه الصلاة والسلام) إليها ثم حولها إلى (مدينة) وبعد الهجرة حدث تغيير واضح سعى الرسول (عليه الصلاة والسلام) إلى تحقيقه هو الدعوة إلى الإسلام ذلك الدين الذي بدأت تعاليمه في تهيئة المجتمع الإسلامي الجديد لحياة حضارية تلازمت تماماً مع اهتمامه بالمدينة ، وبرزت هنا أهمية الوطن والأرض وتنمية الشعور بالانتماء لها .

إتضح أنَ الإسلام أبدل العصبية القبلية بعصبية المواطن والأرض واتجهت أفكار الإسلام بمسميات جديدة (كأهل قباء) و (أهل المدينة) و (أهل الطائف) ولهذا الاتجاه دلالته الحضرية والاستيطانية. واختلفت أسباب نشأة المدن الأخرى التي لم تكن حواضر الملك أو مراكز الإدارة ، وتنوعت هذه الأسباب وارتبطت بعوامل كثيرة منها اقتصادية وأخرى حربية ودينية واجتماعية وسياسية وبدأت المدينة بنواة عمرانية ثم تطورت وازدهرت واتسعت بفضل توفر المقومات الحضارية. لقد كانت القرون الوسطى ، وبصورة خاصة القرن الثامن والتاسع والعاشر مرحلة مهمة في تاريخ المدن التي أسسها العرب في العالم الاسلامي ومنها العراق وهناك من يدعي أنَ المدن التي اوجدها المسلمون خارج جزيرة العرب قد يزيد عن مائتي مدينة خلال حكمهم الطويل في دور الخلفاء الراشدين والعهدين الأموي والعباسي وفي دور الدويلات الاسلامية فضلاً عن القلاع والحصون والأسياف والأسواق بعضها أصبحت مدن وبقيت تحمل أسماءها الأولى . كما انتبه المسلمون إلى تعمير ماخرب من المدن وتجديدها ومن الطبيعي كان نصيب العراق من هذه الحركة العمرانية الحضرية كالبصرة التي أسست سنة ١٤ هـ والكوفة سنة ١٧ هـ وبغداد ١٤٥ هـ [٩] . لقد كان الاهتمام في إعادة تخطيط العمارة الإسلامية وإدامتها سبباً في بقائها فترة أطول. لقد ارتبط عمران المدن الإسلامية بتغير الخارطة الإسلامية بالعالم الإسلامي ، وقد شجع حكام المدن العامة بتعمير المدن وتشجيع أهلها على ممارسة أعمالهم وتوسعها كما كان اختيار المواضع الصالحة بانتشار المدن مدعاة إلى المنافسة في إعمارها وتوفر المرافق الأساسية من ماء عذب وأسواق ومساجد وجسور وطرق فتطورت المدن العربية الإسلامية وازداد عمرانها في فترة وجيزة إذا ما قيست بتطور غيرها من المدن[١٠] . ينظر الجغرافي الى المدينة على أنَها ظاهرة متميزة عن غيرها من الظواهر الجغرافية الاخرى على سطح الارض من نواحٍ متعددة ، إذ أنَها تمثل أرقى اشكال العمران البشري الذي أقامه الإنسان على الأرض وأعقدها وأبرزها تعدَ وكل مدينة بؤرة

حضرية تجتمع حولها وترتبط بها الانماط العمرانية الاخرى فضلاً عن أنها تسيطر على الناحية الإقتصادية والإجتماعية والإدارية والثقافية للأقاليم التي تقع فيها [١١] .

وعلى هذا الأساس شكلت الخريطة السياسية للمدينة العربية الإسلامية ودعمها استمرار الفتوحات ، ورسمت خطط المدن بعد أن اتخذت منزلا للجيوش العربية الإسلامية وزادت مساحتها ورسمت طرقها وشوارعها كالفسطاط والكوفة ، والبصرة . وكان الإهتمام بتحصين المدينة فحفرت خنادقها وبنيت أسوارها ولم يقتصر دور العرب في حضارتهم الاسلامية على إنشاء المدن بل أعادوا الحياة اليها ووسعوا جبهتها بالمدن الجديدة كما وصلوا بأحجامها إلى مستويات ربما لم تصل إليها المدينة من قبل [١٢] . وإذا قارنا بين المدن العربية الإسلامية كبغداد وسامراء و الكوفة والفسطاط نجد كثيرا من المتشابهات في نظام القطاعات والخطط ومواقع المساجد والأسواق . وقد اتخذت الأسواق والمنشآت التجارية في المدينة الإسلامية اتجاهين رئيسين من ناحية التكوين المعماري الأول هو تبلور بنائي في العصر الأموي عندما بنيت الأسواق وكان بناؤها عبارة عن مجموعة من الحوانيت تطل على ساحة مكشوفة في الوسط وظهرها الى الخارج وتعلو هذه الحوانيت وحدات سكنية كانت تؤجر لمن يرغب السكن فيها تشبه (الأجوراء) في المدن اليونانية [١٣]. والإتجاه الثاني هو نمط الحوانيت المتراصة على جانبي الشارع الرئيسي والشوارع المتسعة .

ومن مميزات السوق الاسلامي هو إنتشار مهنة ما يطلق عليها أصحاب الحرف وغالباً ما تقع محلاتهم في مكان معزول عن المحلات التجارية .

فأية مدينة بنيت في العصر الإسلامي كانت تتبع الخطط المعمول بها في معظم الدول الإسلامية في أسواقها المتشابهة ومساجدها ومحلات سكنها وشوارعها ، وتختلف مواد بنائها حسب الطبيعة الجغرافية المتواجدة فيها المدينة . وعلى هذا الأساس أقيمت المدن الإسلامية وتطورت مع تطور العصور . وعلى سبيل المثال مدينة الموصل كان لخططها منذ أن دخلها المسلمون أثر واضح ولحد الآن في استمرار الوضع البنائي واسم الخطة (أي المحلة أو المنطقة) مع تجديد ملموس لبعض البيوتات التاريخية المتواجدة في المدينة فهناك من هو قائم كجامع النوري وهناك من هو زائل كالجامع الأموي وهناك ما هو مندرس كاجزاء من urban fring مثل المقابر والخانات والتي كانت قائمة مثل خان المكصوص وخان الماء موقعها في شارع الكورنيش (الجملة الان) كسور مدينة الموصل ولا يزال قسم من محلات المدينة قائم ولحد الآن كمحلة المشاهدة ومحلة خزرج .

بنية المدينة العربية الإسلامية ومراحل تطورها

لعل التسامح الديني وتطور الحياة الاجتماعية والحضرية أديا إلى نشأة مراكز حضرية وهي مكة المكرمة والمدينة ، ونمت المدينة العربية الإسلامية في بدايتها بصورة عشوائية إلا في اختيار الموقع إذ كان يخطط له بشكل علمي مدروس واتخذت المدينة في الغالب أشكالاً دائرية كما هو الحال في مدينة بغداد المدورة كما في الشكل (١) أو قريبة من ذلك مثل واسط والموصل أو طويلة مثل سامراء أو خطية مثل

عنّه[١٤] . وكان إختيار موضع المسجد الجامع ودار الإمارة أو القصر في قلب المدينة مع توجه الشوارع الرئيسة إليه إنعكاساً صادقاً لحياة المجتمع الاسلامي داخل المدينة [١٥] .

وقد مرت المدينة العربية الإسلامية بمراحل ثلاث :

الأولى : مرحلة النشأة وهذه المرحلة يغلب عليها الطابع العسكري .

الثانية : مرحلة النضج والازدهار : وهي المرحلة التي تتجزء فيها مساحة الحيز الحضري مع توفير فرص التجانس في الفعاليات الممارسة فيها .

الثالثة : مرحلة الاستقرار : وتتضح فيها المؤسسات المدنية وتستقر في تركيبها الوظيفي .

وعلى هذا الأساس ظهرت هناك مفردات تشترك بها المدينة العربية الإسلامية وهي :

١- الاستعمال الديني

٢- الاستعمال التجاري

٣- السوق المركزي

٤- الاستعمالات السكنية

٥- الاستعمالات العسكرية

٦- الشوارع

٧- الاستعمالات الصناعية

٨- الاستعمالات الأخرى وتشمل:

أ- المشافي

ب- الحمامات

ج- الربط

تمثل هذه الاستعمالات المركب الحضري للمدينة العربية الإسلامية [١٦] كما في الشكل (٢)

شكل (١)

مدينة بغداد المدورة

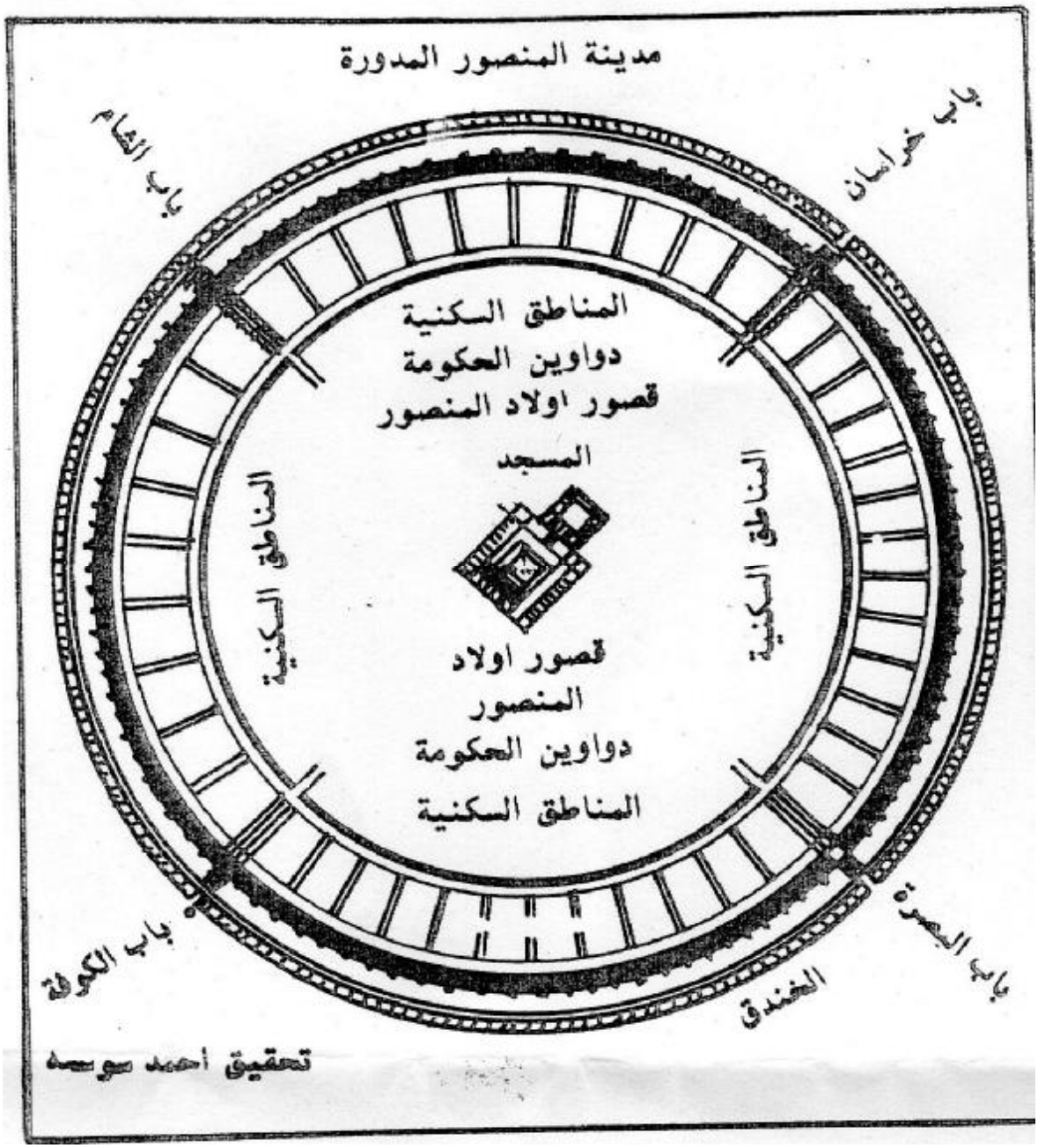

المصدر د. مصطفى جواد ، د. احمد سوسة ،دليل خارطة العراق المجمع العربي العراقي ١٣٧٨ هـ - ١٩٥٨ م

شكل (٢)

أستعمالات الارض للمدينة الاسلامية

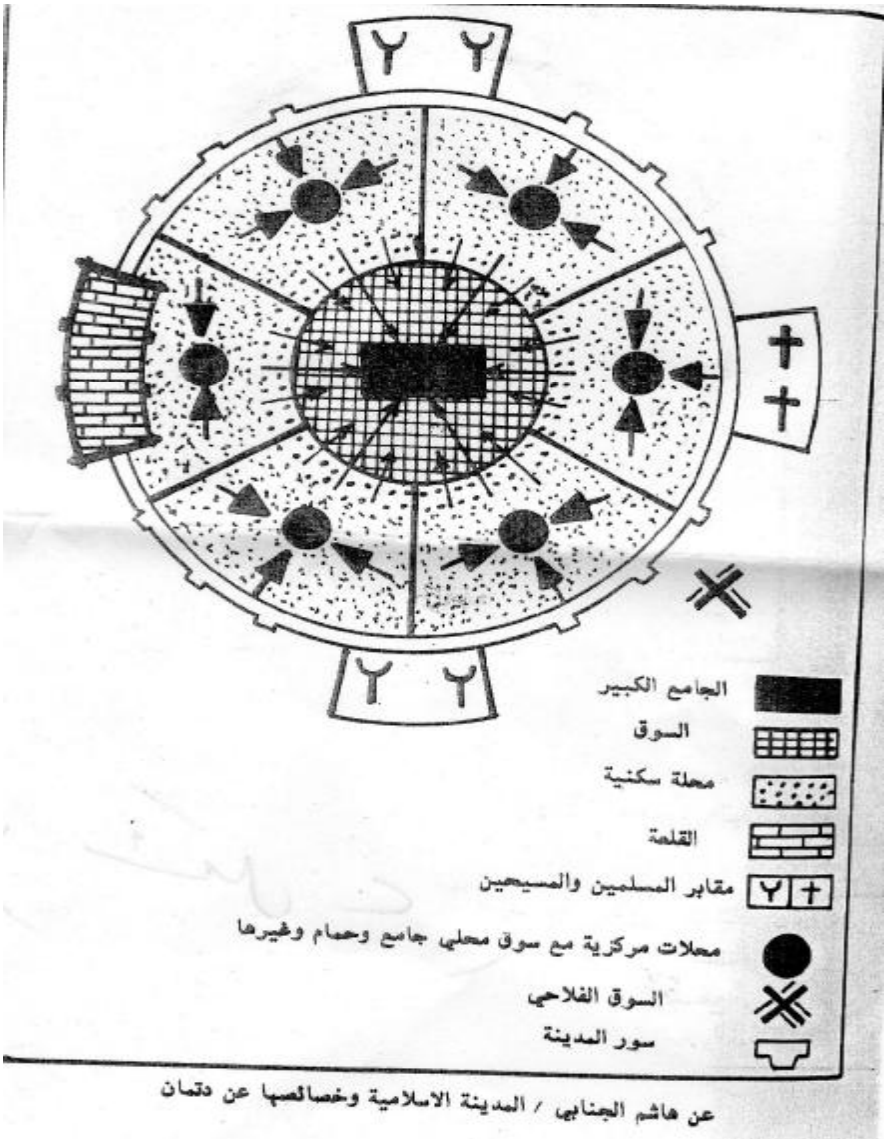

المصدر هاشم خضير الجنابي ، المدينة وخصائصها

مجلة التربية والعلم ، العدد الثاني شباط ١٩٨٠

تخطيط المدينة العربية الإسلامية

إتخذ تخطيط المدينة العربية الإسلامية هيئة معسكرات حربية ثم تطور الى هيئة مدينة كالبصرة والكوفة والفسطاط والقيروان ، وإتخذ قسم من المدن لأغراض إدارية كواسط وفيها ما أنشئ كعواصم أو حواضر للدول المتتابعة كبغداد والقاهرة و فاس ، ومنها ما كان في بدايته مناطق ارتكاز تحصينية للدفاع وبمرور الزمن غلب عليها الطابع المدني وتحولت إلى مدن كالرباط ومجريط " مدريد "[١٧]

إن التخطيط في المدن العربية الإسلامية يعتمد بالدرجة الأساس على واحد من أربعة (القرآن الكريم ، السنة النبوية ، الفقه الشريعة [١٨]) وقد ضمت نشأة المدن العربية الإسلامية العناصر التخطيطية الأخرى ومن هذه المحاور هي المسجد الجامع . ودار الإمارة والسوق وبمرور الزمن اختلف تأثير هذه المحاور في تخطيط

المدينة العربية الإسلامية [١٩] وعلى هذا الأساس بدأ تخطيط مدن العمارة الإسلامية منذ الهجرة إلى المدينة حيث أصبح للمسلمين مدينتهم الأولى* .

إن نواة المدينة العربية الإسلامية تتمثل بـــ :

١ـ المسجد

يعد المسجد من أهم الفعاليات الدينية في المراكز الحضرية الإسلامية فقد سيطر على أفضل المواقع . وإتخذ المسجد الجامع موقعه المركزي ، فعلى سبيل المثال لا الحصر نلاحظ أن المسجد النبوي كان لموضعه الجغرافي الممتد غرباً حتى وصوله إلى قباء جنوباً ، ومن قباء وجد طريقاً يتجه شمالا إلى البقيع وكانت الشوارع قياسية ويبلغ عرضه خمسة أذرع والشارع الأصغر ثلاثة أذرع غطيت بالحصى ، ويرتبط بطرق رئيسة تقطع هيكل المدينة [١٠] وحكمت هذه الأهمية للمسجد الجامع ، وأصبح هذا قاعدة تقليدية في المدن الإسلامية وازداد توسعه سنة بعد أخرى والى حد ٢٠٠٣ كما يتضح من الشكل (٣).

شكل (٣)

مخطط جميع التوسعات بالمسجد النبوي

لغاية ١٤١٤ هـــ / ١٩٩٤م

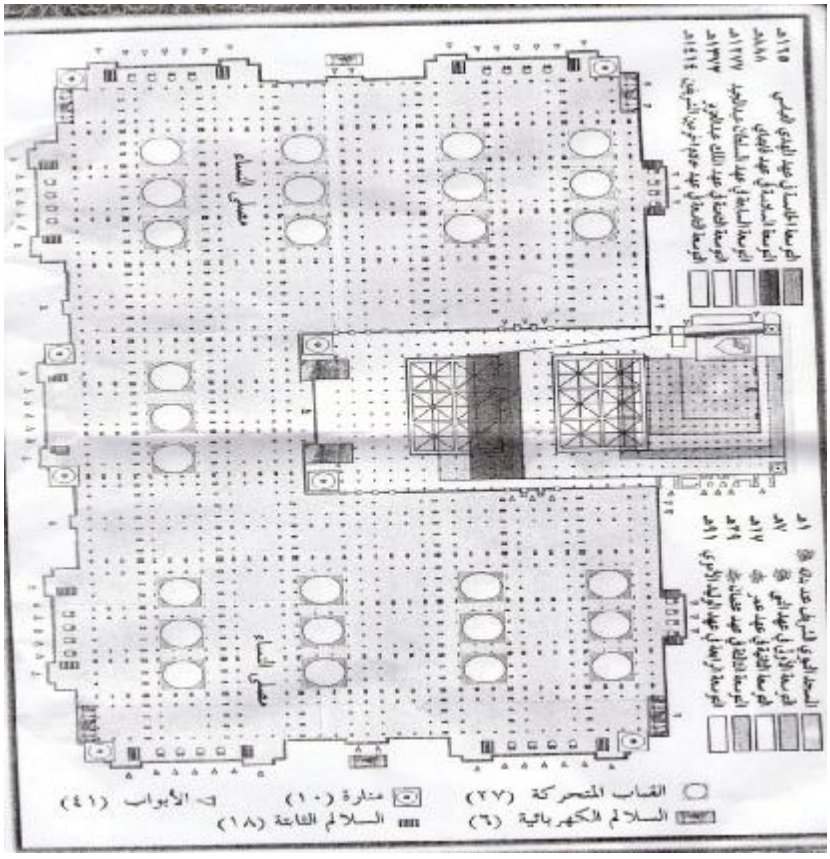

عبد الغني ، محمد الياس ، تأريخ المسجد النبوي الشريف السعودية ، مكتبة الملك فهد للنشر ٢٠٠٣

* تم إختيار المدينة المنورة النموذج والإرث الخالد لكونها أخذت مراحل تطور مستمر على مدى المراحل الزمنية وذلك لكونها مركز ديني مهم أما بقية المدن الأخرى التراثية أصابها جزء من التطور يمكن أخذها في بحوث أخرى متعددة كالفسطاط والكوفة والبصرة والقيروان .

٢ـ السوق المركزي

سيطر السوق الإسلامي المركزي على المدينة العربية الإسلامية وموقعه بالقرب من المسجد الجامع مستفيدا من المركزية العالية للمسجد الجامع وسهولة الوصول من كل أطراف المدينة عن طريق نمط الشوارع الشعاعية المرتبطة بهيكل المدينة العام . وتتصف أسواق المدينة الإسلامية بكونها مسقفة ومعبدة [٢١] فضلاً عن أنها مراكز تجارية وهي من محاور النهضة العمرانية للمدينة العربية الإسلامية .

٣ـ الشوارع

تعد الشوارع في المدينة العربية الإسلامية وسيلة مهمة من وسائل الاتصال ولم تكن خاصة بالحركة أو فصل القطائع وإنما كانت تؤدي خدمات حضرية متعددة إذ يمارس نشاط تجاري كثيف خاصة الشوارع القريبة من المنطقة المركزية . وشغلت الساحات العامة حيزاً مميزاً من مساحة الحيز الحضري وكان لها الدور الواضح في ممارسة الفعاليات التجارية والسياسية والدينية وهذا يرتبط بالمرحلة الحضارية التي تعيشها المدينة العربية الإسلامية [٢٢].

٤ـ الاستعمال السكني

إن طبيعة البيئة وما يتوفر فيها من مواد كانت أساساً من أسس بناء البيت العربي الإسلامي ، فالحجارة والطين والجص والخشب والقصب حدده الزمن الذي يمكن أن تعمره البيوت أو المنشآت بسبب قدرتها على المقاومة ومطاولتها لظروف الطبيعة التي تحكمت فيها [٢٣].

وقد شغل الاستعمال السكني في المدينة العربية الإسلامية مساحة تتراوح ٧٠% من مساحة المدينة ، وكانت المدينة الإسلامية تتصف بنظام المحلات التي أخذت شكل القطائع أو الخطط في مرحلة النشوء وقد تطورت بعد ذلك إلى محلات متخصصة متوزعة بشكل حلقي أو نطاقي حول النواة الدينية والإدارية للمدينة وتتقطع بأنماط الشوارع الشعاعية الخارجة من مركز المدينة والطرق والأزقة الملتوية والعمياء [٢٤] .

٥ـ دار الإمارة

كان بناء دار الإمارة مجاوراً للمسجد ، وذلك لضرورة وظيفية وقد بني بيت الرسول (صلى الله عليه وسلم) ملاصقاً للمسجد وأصبحت هذه الظاهرة تقليداً معمارياً بعيداً عن مساكن عامة الناس وفي المدن التي انفصل فيها المسجد الجامع عن القصر أو دار الإمارة ربطت بها شوارع متسعة تتسع لمواكب الخلفاء والولاة أثناء خروجهم إلى الصلاة كما في سامراء والقاهرة [٢٥] .

٦ـ الاستعمالات الأخرى

هناك استعمالات أخرى في المدينة العربية الإسلامية منها المؤسسات الدينية التعليمية والمؤسسات الصحية (المشافي والمارستانات) والربط والحمامات وكان لها دور واضح في تقديم النشاطات الاقتصادية للمدينة العربية الإسلامية .

المبحث الثاني
مراحل نمو المدينة العربية الإسلامية ودواعي توثيقها

لاشك أن التضخم الحضري والسكاني في المدينة العربية الإسلامية المعاصرة أدى إلى تركز السكان في المناطق القديمة والتي يمكن عدَها مراكز حضرية لها تأريخها فأصبحت هذه المناطق رخيصة الإيجار وكثيفة السكان ومجمعاً لمنطقة الأعمال المركزية ، وطغت عليها أبنية مخرسنة دون قيود معمارية أو فنية أو تخطيطية مما أثر على الأبنية الأثرية المهمة تاريخيا ومعمارياً وطغت إثر ذلك على طرازها المعماري للمباني السكنية القديمة وانعدم الترابط بين المكونات المادية ومقوماتها المعنوية . ومن الملاحظ أن هناك اختلافاً واضحاً في عمليات التحديث والتجديد للمدينة العربية الإسلامية إذ حصل اختفاء تدريجي للطرز المعمارية العربية والنقوش الإسلامية ، وكانت الطرز المستوردة قد طغت على الطرز المعمارية للمدينة العربية الإسلامية إن اختلاط العمران بين الحديث والقديم والعربي والأوربي أدى إلى فقدان الهوية وضياعها في كثير من الأحيان . وتبدأ مشكلة البحث من هنا هو فقدان المدن العربية الإسلامية هويتها وإزالة الكثير من معالمها بفتح الشوارع العريضة وبناء مؤسسات تحت راية التحديث كما هو الحال في بغداد ودمشق والجزائر والقاهرة إذ غرس فيها بشكل مصطنع عناصر جديدة ذات مواقع كتل غريبة في مواقع أحيائها القديمة [٢٦] لذا وجب هذا التوثيق .

التوثيق

هي عملية إجراء مسوحات وتسجيل موضوع تراثي وتثبيته وتحقيقه ودراسته وهذه العملية تنتهج نهجا علمياً رصيناً يتعاون فيه المؤرخون والجغرافيون والمهندسون والمهتمون بالتراث من أجل إبقاء الموروث على قيمته التاريخية والثقافية .

أنواع التوثيق

يمكن تقسيم التوثيق إلى قسمين هما :

١- التوثيق التسجيلي : وهو لتثبيت واقع الحال عند تسلم الموروث ويعدَ إجراءً ضرورياً كحد أدنى .

٢- التوثيق التخصصي : وهو التوثيق الذي يتجاوز المرحلة التسجيلية للبحث ويخوض في تحقيق أصول الموضوع التراثي من النواحي التاريخية والفنية والمادية .

أهداف التوثيق

الهدف هو تسجيل الممتلكات الثقافية غير المنقولة المعمارية والحضرية بوسائل مختلفة ، لتثبيت واقع حالها في فترة معينة من الزمن وللاستفادة من عملية التوثيق كمادة علمية لا تقبل الجدل ودليل على وجود التراث المعماري أو الحضري على الرغم من زواله أو تغيير بعض معالمه مع الزمن أو تشويهه بمرحلة تاريخية معينة . لعل استثمار هذا التوثيق في صيانة أو إعادة بناء الموروث في حالة أصابته أو زواله الفجائي لأي سبب من الأسباب (كالحروب ، الزلازل ، البراكين ، الحرائق ، الفياضانات ، الإهمال ، الفترة الزمنية ، يوفر التوثيق معرفة إضافية ويحدد نطاق التراث الثقافي وشموليته وهويته في أي بلد يراد توثيسق ممتلكاته الثقافية لاتخاذ الخطوات اللازمة للحفاظ عليه ، ويؤدي بدوره إلى إعداد قوائم تسجيلية وطنية ومحلية

تساعد بدورها لحماية هذه الممتلكات الثقافية من الناحية القانونية . كما يوفر التوثيق مادة جيدة وخصبة لغرض التحقيق والبحث العلمي من قبل المؤسسات الأكاديمية والمعنية لحماية التراث لذا يجب اتخاذ الخطوات اللازمة لإجراء عملية الصيانة أو الترميم بعد تشخيص الأضرار والتصدع الموجود في الموروث .

دوافع التوثيق

لأجل حماية موروثنا الباقي ينبغي أن لا يجهد التراث المعماري ولكن يجب أن يستعمل ويوائم مفاهيم التصميم المعماري المعاصر وتقنياته ، والذي يجب أن يوجد نماذج معمارية تنسجم ولا تتناقض مع النسيج الموروث إذاً لابد من استيعابه بكل ما ينبغي أن يغطيه من عناصر الأصالة والتواصل والتأهيل [٢٧] .

دوافع التوثيق تتلخص بما يأتي :

١- الإهمال العام للمناطق السكنية التقليدية للمدينة العربية الإسلامية بسبب عدم ملاءمتها للحداثة .

٢- إعادة تطوير المناطق التقليدية في المدينة العربية الإسلامية بدافع الربح مما يلحق الأذى بالموروث كما في مدينة الموصل وكما حدث في فترة التسعينات عندما هدم حمام العمرية في السوق الموروث وخان المكصوص وباب الشط قديماً ومحلة الميدان عند محاولة انشاء شريط يربطها مع حي الشفاء.

٣- كلفة الصيانة والتجديد الحضري التي تقع خارج إمكانية ميزانية البلد .

٤- معاناة المدينة العربية الإسلامية (في أكثر من حال) من محنة التقليد منعكساً على خطة المدينة وشكلها العام .

٥- افتقار الغالبية العظمى من مدننا إلى المسوحات التوثيقية أو التسجيلية الضرورية لتثبيت مفردات التراث المعماري والإنشائي والحضري بدافع حمايتها وإصدار القوانين الضامنة لذلك [٢٨] .

المراحل المعدة للتوثيق

لابد من التأكيد على أن اعتماد مفهوم المراحل هو الأهم مقارنة بالعدد الذي سيتم التوصل إلى تحديده لكل مدينة فقد تظهر مدينة على أنها من (خمس مراحل) مثل بغداد وتونس (أربع مراحل) والحديدة في اليمن (ثلاث مراحل) (والقيروان مرحلتين) (والأخرى مرحلة واحدة) لكون تصميمها بعد سبعينات هذا القرن.

ولا بد هنا من القول أنَه بالإمكان مضاعفة أو تقليص عدد المراحل على ضوء نوع المتغيرات المعتمدة وشموليتها (أي كلما كانت المعايير تفصيلية ودقيقة كلما زادت عدد المراحل وبالعكس)[٢٩] مما يجعل للأمر نسبيته وبالتالي تكون النتائج واضحة وتحتاج الى زمن متاح يمكن أن تتضح فيها حجم المدينة وعمقها التاريخي واتباع سبل أكثر لتحقيق غاية الحفاظ على الموروث .

وسائل توثيق المدينة العربية الأسلامية

هناك عدة وسائل لتوثيق التراث المعماري للمدينة العربية الإسلامية هي :

١- ضرورة الإطلاع على معالم المدينة التراثية من تأريخ بنائها ، عمرها الزمني ، مادة البناء ، فن إعمارها قبل البدء بالتوثيق .

٢- إجراء المسوحات الكاملة للمدينة ودراستها من ناحية الموقع والمساقط والواجهات المعمارية .

٣- متابعة تصوير المكان المراد توثيقه بصور فوتوغرافية أو صور مجسمة وجمع الصور والخرائط الجوية للاستفادة منها .

٤- البحث عن السجلات الرسمية والمخطوطات والخرائط والتقارير والدراسات المعدة لهذا الغرض .

٥- جمع الصور القديمة التي كانت عليها المدينة بالصور الحديثة ومتابعة الإجراءات التي أزالت الموروث لتشخيص أهميته والتحري عنه .

هنا لابد من استيعاب حقيقة مهمة أنَ هذا التوثيق سيسهل الأمر على توقع التباين في الثراء المعماري التخطيطي ، الذي ينبغي توثيقه على ضوء العمق التاريخي ومواصفات الموضع الذي بالتالي يحدد مواد البناء وصيغ التعامل معها بما ينسجم مع المستوى التقني للمعمار العربي في كل مرحلة من المراحل[٣٠].

الخلاصة والأستنتاجات

من خلال الدراسة يمكن أن نستنتج من البحث :

١- إن المدينة العربية الإسلامية تواجه مشاكل في نموها العمراني مما يجعلها غير متجانسة فضلاً عن تعرض قسم منها للإزالة والإهمال .

٢- استنتج الباحث أن المشاكل التي تعاني منها المدينة العربية هي اندراس وتهرؤ الكثير منها وعدم الإهتمام بتوثيقا وصيانتها .

٣- عدم توثيق لبعض من المدن العربية الإسلامية مما أدى إلى ضياع هويتها التأريخية وعمقها الحضاري .

٤- مرت المدينة العربية الإسلامية بمراحل تكوينها وبنيتها واستعمالات الأرض فيها ، بعدة مراحل توسعية وعبر مراحل زمنية تقلصت وكان من الضروري توثيقها خوفا من الاندثار التدريجي الذي حل ببعضها .

٥- لابد من متابعة الوسائل الخاصة بتوثيق المدينة العربية الإسلامية لتشخيص واقعها والعمل على إيقاف الزحف الحديث واطمار معالمها الحضارية .

التوصيات

١- من الضروري استيعاب المدينة القديمة والبدء بعملية التوثيق والمسح الشامل للوحدة المعمارية أو المنطقة التراثية .

٢- برمجة العمل بشكل مخطط له وتحديد الأعمال الممكن القيام بصيانتها وما هي مواد البناء الداخلة في الصيانة والتي يمكن أن تتلاءم مع واقع الموروث الحضاري .

٣- إقامة الندوات والمؤتمرات والمحاضرات مع التأكيد على الباحثين في دراسة هذا الاختصاص برسائلهم و أطاريحهم الجامعية .

٤- ايجاد الحلول الذاتية على مستوى كل مدينة عربية إسلامية وإعداد برامج صيانية وأحياء المدينة وعدم عزلها عن مشاريع التخطيط الجديدة .

٥- تنظيم خرائط تفصيلية بمقاييس كبيرة وتثبت عليها معلومات ضرورية والتعامل مع مفرداتها بشكل علمي .

٦- إعداد الخبراء والعمال المهرة لغرض الحفاظ على المناطق والأحياء التاريخية ومتابعتها بالترميمات الفنية التي تكفل صيانتها .

٧- قيام وسائل الإعلام السمعية والبصرية بعقد لقاءات مع عرض أفلام تسجيلية ووثائقية لحث المهتمين بالأمر بتوثيق المدينة العربية الإسلامية .

٨- أن تقوم الحكومات المحلية بسن التشريعات القانونية التي تحدث تغييراً في الاستعمالات التراثية المختلفة لتحقيق رغبات شخصية وهدر المنفعة العامة لها .

الهوامش:

١- الدليمي ، خلف حسين ، الاتجاهات الحديثة في البحث العلمي الجغرافي ، ط١ ، دار صفا للنشر والتوزيع عمان ٢٠٠٧ ص[٤٢].

٢- ابن منظور ، (محمد بن مكرم) لسان العرب ، بيروت (مادة مدن) ١٩٥٦ ص[٤٠٦].

٣- العبادي ، أحمد مختار ، الحياة الاقتصادية في المدينة الاسلامية مجلة عالم الفكر ، المجلد (١١) العدد (١) ١٩٨٠ ص[١٢٧].

٤- الطيف ، بشير ابراهيم وآخرون ، خدمات المدن ن دراسة في الجغرافية التنموية ، طرابلس ، لبنان ٢٠٠٩ ص[٢٨].

٥- عثمان ، محمد عبدالستار ، المدينة الاسلامية ، سلسلة كتب ثقافية المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب الكويت ١٩٨٨ ص[١٧].

٦- القزويني ، آثار البلاد وأخبار العباد ، مطابع بيروت (بدون سنة طبع) ص[٧] ص[٨].

٧- الأشعب ، خالص حسني ، التوثيق ومفهوم مراحل نمو المدينة العربية ، مجلة التراث والحضارة العدد٩ ، بغداد المكتبة الوطنية ١٩٨٧ ص[١٩].

٨- حمدان ، جمال ، جغرافية المدن ط٢ ، عالم الكتب القاهرة ١٩٧٧ ص[٩].

٩- حسين ، عبدالرزاق عباس ، نشأة مدن العراق وتطورها جامعة بغداد ، مطبعة الارشاد ١٩٧٧ ص[٢٨] ص[٣٠]

١٠- عثمان ، محمد عبدالستار ، المدينة الاسلامية ، سلسلة كتب ثقافية المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب الكويت ١٩٨٨ .

١١- حسين ، عبدالرزاق عباس ، نشأة مدن العراق وتطورها (مصدر سابق) ص[١]

١٢- الموسوي ، مصطفى عباس ، العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الاسلامية ، بغداد ، دار الرشيد للنشر ١٩٨٢ ص[٥٥].

١٣- عثمان ، محمد عبدالستار ، المدينة الاسلامية ، سلسلة كتب ثقافية المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب الكويت ١٩٨٨ ص[٢٥٦] – ص[٢٥٧].

وانظر ايضاً

الشامي ، عبالعال جغرافية المدن عند العرب ، مجلة عالم الفكر العدد (١) ١٩٧٨ ص[٥٤].

Lapldus.j.m.muslim cities in the later middle , ages Cambridge mass 1967 .p.100

١٤- الأشعب ، خالص حسني ، التوثيق ومفهوم مراحل نمو المدينة العربية ، مجلة التراث والحضارة العدد٩ ، بغداد المكتبة الوطنية ١٩٨٧ ص[٤١].

١٥- العميد ، طاهر مظفر ، بغداد مدينة المنصور المدورة بغداد ، مطبعة النعمان ،١٩٦٧ ص[٣٧].
وانظر ايضاً
ناجي ، عبدالجبار ، مفهوم العرب للمدينة الاسلامية ، مجلة المدن العربية نشر المنظمة العربية للمدن العدد (١٤) السنة الثالثة ١٩٨٤ ص[٥٠] ص[٧٠]

١٦- الجنابي ، صلاح حميد ، جغرافية الحضر أسس وتطبيقات موصل / جامعة الموصل ، دار الكتب للطباعة والنشر ١٩٨٧ .

١٧- مكي ، محمود علي ، مدريد العربية ، وزارة الثقافة المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر دار الكتب للطباعة والنشر ، ١٩٨٧ مصر ص[١٢] – ص[١٨].

١٨- تخطيط المدن العربية الاسلامية http://ar_wikipedia.orglwiki

١٩- عثمان ، محمد عبدالستار ، المدينة الإسلامية (مصدر سابق) ص[١١١].

٢٠- تخطيط المدن العربية الإسلامية (مصدر سابق) من الانترنت .

٢١- الجنابي ، صلاح حميد ، جغرافية الحضر (مصدر سابق) ص [٨١]

٢٢- المصدر نفسه ص[٨٧]

٢٣- سيمون ، فليب اوديس ، أنظمة المدينة العربية ، دار الحكمة للطباعة والنشر ، بغداد ١٩٩١ ص[٢].

٢٤- الجنابي ، صلاح حميد ، جغرافية الحضر (مصدر سابق) ص[٨٢] - ص[٨٤]

٢٥- عثمان ، محمد عبدالستار ، المدينة الاسلامية ص[٢٣٨] – ص[٢٤٠] .

٢٦- انظر في ذلك
كمونة ، حيدر عبد الرزاق ، سياسات التحضر في الوطن العربي ط١ وزارة الثقافة والإعلام بغداد ١٩٩٠ ص[٧٩] ص[٩١].

٢٧- انظر أيضاً
فتحي ،إحسان ، توثيق الممتلكات الثقافية (بعض المفاهيم والأهداف الأساسية ، محاضرة أقامها المركز الإقليمي في الجامعة المستنصرية ، بغداد ، ٢/٢ لغاية ١٩٨٦/٣/١٥ دورة التوثيق للمباني التاريخية .

٢٨- وانظر ايضاً
القرغولي ، حسين ، التراث المعماري والقيم الحرفية الجامعة التكنولوجية ، ندوة التعليم المستمر ٧-١٩٨٠/٦/١١ ص[١]
فتحي ، إحسان ، التراث الحضري في المدينة العربية الإسلامية ، دورة التعليم المستمر في الجامعة التكنولوجية ٧-١٩٨٠/٦/١١ ص[١].
الديوه جي ، ممتاز حازم داؤد ، التجديد الحضري لأسواق الموصل ، رسالة ماجستير غير منشورة مركز التحسس النائي في التخطيط الحضري والاقليمي موصل ١٩٨٩ ص[٧٠] ص[٧٥].

٢٩- الأشعب ، خالص حسني ، التوثيق ومفهوم مراحل نمو المدينة العربية (مصدر سابق) ص[٢٢] ص[٢٣]
وانظر ايضاً
R.Dickinson , The west European city , London 1961 P.P. 461-467

٣٠- فتحي ،إحسان ، توثيق الممتلكات الثقافية (مصدر سابق) ص[١٨٠]

المصادر:

- ابن منظور ، (محمد بن مكرم) لسان العرب ، بيروت (مادة مدن) ١٩٥٦.
- الأشعب ، خالص حسني ، التوثيق ومفهوم مراحل نمو المدينة العربية ، مجلة التراث والحضارة العدد٩ ، بغداد المكتبة الوطنية ١٩٨٧ .
- الأشعب ، خالص حسني ، المدينة والتحضر ، حضارة العراق جـــ ٥ بغداد ١٩٨٤ .
- الجنابي ، صلاح حميد ، جغرافية الحضر أسس وتطبيقات موصل / جامعة الموصل ، دار الكتب للطباعة والنشر ١٩٨٧ .
- الجنابي ، هاشم خضير ، المدينة الإسلامية وخصائصها ، مجلة التربية والعلم ، العدد الثاني ، شباط ١٩٨٠ .
- الدليمي ، خلف حسين ، الاتجاهات الحديثة في البحث العلمي الجغرافي ، ط١ ، دار صفا للنشر والتوزيع عمان ٢٠٠٧ .
- الديوه جي ، ممتاز حازم داؤد ، التجديد الحضري لأسواق الموصل ، رسالة ماجستير غير منشورة مركز التحسس النائي في التخطيط الحضري والاقليمي موصل ١٩٨٩ .
- الشامي ، عبالعال جغرافية المدن عند العرب ، مجلة عالم الفكر العدد (١) ١٩٧٨ .
- الطيف ، بشير ابراهيم وآخرون ، خدمات المدن ، دراسة في الجغرافية التنموية ، طرابلس ، لبنان ٢٠٠٩ .
- العبادي ، أحمد مختار ، الحياة الاقتصادية في المدينة الاسلامية مجلة عالم الفكر ، المجلد (١١) العدد (١) ١٩٨٠ .
- العميد ، طاهر مظفر ، بغداد مدينة المنصور المدورة بغداد ، مطبعة النعمان ،١٩٦٧ .
- القرغولي ، حسين ، التراث المعماري والقيم الحرفية الجامعة التكنولوجية ، ندوة التعليم المستمر ٧-١٩٨٠/٦/١١
- القزويني ، آثار البلاد ، وأخبار العباد ، مطابع بيروت (بدون سنة طبع) .
- الموسوي ، مصطفى عباس ، العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الإسلامية ، بغداد ، دار الرشيد للنشر ١٩٨٢ .
- حسين ، عبدالرزاق عباس ، نشأة مدن العراق وتطورها جامعة بغداد ، مطبعة الارشاد ١٩٧٧.
- حمدان ، جمال ، جغرافية المدن ط٢ ، عالم الكتب القاهرة ١٩٧٧ .
- سيمون ، فليب اوديس ، أنظمة المدينة العربية ، دار الحكمة للطباعة والنشر ، بغداد ١٩٩١ .
- عبد الغني ، محمد الياس تأريخ المسجد النبوي الشريف مكتبة الملك فهد للنشر ، السعودية ٢٠٠٣.
- عثمان ، محمد عبدالستار ، المدينة الإسلامية ، سلسلة كتب ثقافية المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب الكويت ١٩٨٨ .
- فتحي ،إحسان ، توثيق الممتلكات الثقافية (بعض المفاهيم والأهداف الأساسية ، محاضرة أقامها المركز الإقليمي في الجامعة المستنصرية ، بغداد ، ٢/٢ لغاية ١٩٨٦/٣/١٥ دورة التوثيق للمباني التاريخية .
- فتحي ، إحسان ، التراث الحضري في المدينة العربية الإسلامية ، دورة التعليم المستمر في الجامعة التكنولوجية ٧-١٩٨٠/٦/١١ .

- كمونة ، حيدر عبد الرزاق ، سياسات التحضر في الوطن العربي ط١ وزارة الثقافة والإعلام بغداد ١٩٩٠ .
- مصطفى جواد ، احمد سوسة ، دليل خارطة العراق المجمع العلمي العراقي ١٣٧٨ هـ - ١٩٥٨ م
- مكي ، محمود علي ، مدريد العربية ، وزارة الثقافة المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر دار الكتب للطباعة والنشر ، ١٩٨٧ مصر .
- ناجي ، عبدالجبار ، مفهوم العرب للمدينة الاسلامية ، مجلة المدن العربية نشر المنظمة العربية للمدن العدد (١٤) السنة الثالثة ١٩٨٤

الأنترنت :

تخطيط المدن العربية الاسلامية http://ar_ wikipedia.orglwiki

الكتب الأجنبية :

1- R.Dickinson , The west European city , London 1961 P.P. 461-467
2- Lapldus.j.m.muslim cities in the later middle , ages Cambridge mass 1967 .p.100